

متابعات

رسالة الدكتور إدريس البنا

أقرب الرشد وأصدق الفهم للثقافة المادية بفنونها الجميلة والعقيدة واللغة في كوش

هذا هو عنوان الرسالة التي تقدم بها الدكتور إدريس البنا لنيل درجة الدكتوراه في علم الآثار بقسم الآثار، كلية الآداب بجامعة الخرطوم. وقد أجازتها اللجنة المختصة في التاسع من شهر سبتمبر المنصرم بمقرر قسم الآثار بجامعة الخرطوم. والرسالة جاءت في أربعة أبواب بمقدمة وخاتمة تصحبها توصية الباحث. كان باهما الأول عن موقع كوش التي تتكون من مملكة كرمة ومملكة نبتة ومروي والخلفية التاريخية منذ العصر الحجري بالإشارة إلى مكتشفات علماء الآثار قدامى ومحدثين وتحدثت الرسالة في هذا الباب عن أصل السكان وأصل الأسرة المالكة، كما تتحدثت عن مملكة كرمة بتفصيل من حيث الإدارة والنمو والتطور والصناعة والعمارة والزراعة والرعي وتشير إلى أرقى مستويات الخزف والفخار فيها، ثم تتحدث عن الزحف المصري القديم في عهود الدولة المصرية القديمة وفترتها الوسيطة الأولى، والدولة المصرية الوسطى والفترة الوسيطة الثالثة، والدولة المصرية الحديثة والفترة الوسيطة الثالثة. وعن الأسر التي حكمت مصر واستعمرت بلاد السودان "كوش". وتتحدث عن التاريخ المصري وكاتبه، وتاريخ كوش والصراع الدائر بين مصر القديمة وكوش ثم تتحدث عن نبتة ومروي الموقع والمجتمع. وما يسمى بعصر البطولات، وغزو الأسرة الكوشية الخامسة والعشرين وحكمها لوادي النيل. وبصفة خاصة غزو الملوك

بيبي "بعانخي" للقطر المصري واحتلاله بجنوده مدينة مدينة من طيبة إلى ممفيس والسدور الذي لعبه قراقا والملوك الآخرون. وعند التقهقر في عهد الأشوريين واستمرارية الدولة الكوشية وعظمة الدولة المروية واحترام اليونان والرومان لها والتعاون معها. وقد شملت الدراسة في الباب الثاني المكون من شقين "1" مصطلح ومفهوم الثقافة المادية. و"2" الفنون الجميلة التي تشمل العمارة والنحت والرسم والتصوير والزخارف البديعة والأشغال اليدوية.

وتضرب الأمثلة الحية للأثر الذي تركه انتقال العلوم والفلسفة والفنون عن اليونان، وما استفاده المبعوثون من متلقي العلم من أمراء كالمملك أركماني قبل أن ينصب ملكاً وهو الذي درس الفلسفة اليونانية عند الإغريق في عهد الملك بطليموس الثاني "فلاديلفيوس"، وهو الذي في القرن الثالث ق.م مع الملوك والملكات في عهده كان على رأس المجموعة الملكية الثالثة التي فصلت الدين عن الدولة رغم التمسك الديني الشديد وحارب كهنة آمون وغير من مفاهيمهم تجاه الملوك واهتم بمنطقة النقعة والمصورات حيث انتقال العلوم وممارسة حرفة اللغة والكتابة هيروغليفية ومروية ويونانية وقبطية.. وتحدث الرسالة عن فلسفة أفلاطون المعاصر لكوش، وماهية ما يدرس عنه بشأن النفس البشرية والارتقاء بها من خلال تدريس الجماليات إلى قمة العلم والأخلاق.

كما تركز الدراسة على دور علم الآثار والعلوم المصاحبة له، وبصفة خاصة على مكتشفات فرعه "علم الآثار التجريبي" ودوره الرائد في كشف المدنيات والحضارات الدفينة، وتطبيق أهم المعالم التي أشار إليها المؤرخون وعلماء الآثار عن مملكة كوش في الإدارة والحكم والحرب والسلم والاقتصاد والتجارة والاستقرار، والترحال والعلم والكتابة، والديانة والعقيدة وكل ما يرتبط بالإنسان من حياة وموت

وطب وعلاج وما إلى ذلك. وبالنسبة للفنون والإبداع لم تترك الرسالة شيئاً من الروعة إلا أشارت إليه في مجالات الفنون بكافة أشكالها.

كما تحدثت في بابها الثالث عن العقيدة والدين ورسالات السماء وبصفة خاصة رسالة كلیم الله موسى، ودور الفراعنة معه الذين نشأ من بينهم وتحت رعايتهم وهجرة بني إسرائيل.

أما في بابها الرابع عن اللغة المروية والكتابة فقد أسهمت الرسالة إسهاماً بينسلاً في قراءة ما يسمى بحجر جزيرة عكا، وأشارت إلى اللغة المروية وعلاقة لغة النوبيين "محس" دناقله "سكوت" الحاليين وارتباطها الوثيق بالنوبية القديمة. واستخلصت من كل ذلك ما يفيد الهوية السودانية "النوبية العربية الأفريقية" التي تنصف أبناء السودان الشمالي وارتباطهم بالنوبية في القطر المصري، أي النوبية السفلى وصلتهم الوثيقة بكوش وأهم أقرب إلى أجدادهم من غيرهم في وادي النيل، وان جاز القول على الأقل مثلهم مثل أقباط مصر إلى المصريين القدامى.

جاء ذلك في مجلدات ستة تصل عدد صفحات كل واحد منها إلى 195 صفحة وقد تزينت نماذج أشكالها وصورها بالألوان التي تتميز بها فنون كوش من حزف وفخار ونحت ونقش على الذهب والأسوار وعقود الزينة والزخارف. وفي ختامها يطالب الباحث الحكومات السودانية والجامعات والكليات المتخصصة وكليات الفنون بحفظ آثار كوش والدعوة لزيارتها وتنشيط السياحة بها وإشراك الطلبة في صيانة الآثار مثل ما تقوم به حكومات أخرى تفتخر بتاريخها.